الفصل الرابع

دعاء..

١

خرجت المدينة بجميع من فيها... بالرجال.. بالنســـاء.. بالأطفال.. بالشيوخ.. بكل من يستطيع المشي أو الركـــوب. لم يشهد الروض الوسيع الفسيح خارج المدينة منظراً كاليوم..

لقد خرج الناس للاحتفال بالفتية الذين بذلوا كل شيءٍ في سبيل دينهم.. في سبيل إسلامهم.. في سبيل الله.

كانت تغمر الناس فرحة عظيمة أخرجتهم عن مـــألوف عادتهم.. الله أكبر... إنه أكبر يوم.. بل أعظم يوم في حيـــاتهم.. وهل مر عليهم يوم مثله؟!

كانوا يسرعون الخطى نحو الجبل البعيد.. كل يريـــد أن يسبق إلى رؤية الرجال الذين ناموا أكثر من ثلاثمائـــة عـــام.. ثم

بعثهم الله تعالى في هذا الزمان ليروا بأم أعينهم ثمرة جهادهم في سبيل الله.

النساء على عادتهن.. كن يسبقن الأحداث، ويتحدثن بكل ما يخطر على بالهن من احتمالات وتخيلات .. وكان الرجال يتلهفون لرؤية الرجال الأتقياء الأوفياء الأبطال .. الذين حملوا لهم هذا الدين .. كانوا يتشوقون إلى معرفة عددهم ونفوس الجميع تهفوا إلى معرفة ذلك.. فكانوا يتلذذون بتخمين عددهم :

(سيقولون : ثلاثة رابعهم كلبهم .

ويقولون : خمسة سادسهم كلبهم .

رجما بالغيب.

ويقولون : سبعة وثامنهم كلبهم)

وكان الشاب الذي جاء إلى المدينة ليشتري طعاما لأصحابه.. يسير إلى جانب الملك .. راكباً على حصان أشقر .. أما الملك فكان راكباً على حصان أدهم . وكانت فرحة الشاب لا تقل عن فرحة الناس .. بل تزيد أضعافا..

سيبشر أصحابه ..

سيزف إليهم أعظم بشرى سمعوها في حياتهم

سيقول لهم : اخرجوا فانظروا..

هؤلاء الناس.. كل الناس

الذين يملأون السهل .. والجبل ..

قد جاءوا لاستقبالكم ..

لتكريمكم .. للسلام عليكم..

للاحتفال بكم ..

اخرجوا فانظروا..

فالدنيا أصبحت لكم.. وبين أيديكم .

فقد أهلك الله عدوكم .. الملك الكافر الظالم دقيانوس..

لقد ذهب الظلام إلى غير رجعة..

وجاء عهد النور ..

إن دعوة الإسلام قد قامت .. قوية .. عزيزة بقـــوة الله وعزته!!

اخرجوا فانظروا ..

هذا الملك العادل الصالح المؤمن قـــد جـــاءكم بنفســـه والوزير..

وقائد الجند..

والجند أيضا..

والناس .. كل الناس ..

كل من في المدينة قد جاء للترحيب بكم .. لرؤيتكم.

لقد تغيرت الدنيا ..

فلا خوف بعد اليوم .. ولا هرب ..

هنيئاً.. هنيئاً.. هنيئاً..

هنيئاً.. لكم يا مصابيح الهدى ..

هذه المشاعر .. وغيرها .. راحت تحتدم في نفس الشاب المؤمن .. الذي عاد إلى أصحابه وهو يحمل صرة جعل فيها الطعام الذي اشتراه لهم .

لا..

لن يفاجئهم ..

سيقدم لهم الطعام أولا..

ثم يتلطف في إخبارهم بحقيقة الأمر ..

سيقول لهم . . . .

وقف الشاب عندما صار قريباً من الكهف .. لقد خطر على باله شيء.. لا بد أن يفضي به إلى الملك . وقف الملك أيضا.

ووقف الناس ..

ما الأمر ؟

التفت الشاب إلى الملك وقال :

- أيها الملك .. إن أصحابي لا يعلمون بما حدث .. إنهم يظنون أن الملك دقيانوس ما زال حياً..

فإذا دخلنا عليهم بهذه الصورة .. فربما يظنون أن الملك دقيانوس قد جاء للقبض عليهم !!

فدعني أيها الملك .. أتقدمكم .. فأذهب وحدي .. فأحدثهم .. وأعلمهم بحقيقة ما جرى . .

سأتلطف ما استطعت في إبلاغهم ..

أرجوك أيها الملك ..

أرجوك.

ابتهج الملك كثيرا بهذه الفكرة فقال :

- نعم الرأي ..

اذهب يا بني .. وسننتظر حتى تخرج إلينا .

- أشكرك يا مولاي .. أشكرك .

وأرجو أن لا يسمح لأحد من الناس باقتحام الكهف .

- كما تشاء .

أمر الملك الجنود بأن يمنعوا الناس من الاقتراب من الكهف .. وأن يقفوا حيث هم في انتظار الفتية الذين سيخرجون بعد قليل .

مضى الشاب إلى الكهف ، بعد أن ترجل عن جواده . كان باب الكهف في اتجاه الشمال .

كان الشاب وهو يتجه نحو الكهف ، يسير هادئاً . . كان يريد أن يعد كل كلمة سيقولها لهم .. خرج الكلب ينبح .. فصاح الناس :

- هذا كلبهم ما زال حياً.

٢

كان الكهف يتجه ببابه نحو الشمال .. وكانت الشمس إذا طلعت من جهة الشرق أرسلت أشعتها الذهبية على بابـــه .. ثم تميل ذات اليمين .. فإذا حان الغروب أرسلت أشعتها عليه من الجهة الأخرى.. من الغرب.

والكهف يحتوي على فجوة واسعة .. مستوية .. مريحة .. تسمح للهواء العليل بالمرور في أرجائها! .. كان الفتية داخل الكهف في صحة جيدة.. كانوا يبدون وكأنهم دخلوه لتوهم لا قبل مئات السنين!!

جلس أحدهم على الأرض وقد أمسك بيده عـــوداً راح يخط به خطوطاً ليست منتظمة ثم يمسحها بكفه .. كان أسمـــر

اللون.. خفيف شعر الشارب واللحية أقرن الحاجبين ، كثيف شعر الرأس .

أما الثاني فقد وقف يحفر في الجدار بسكينة ذات نصل صغير بعض عبارات الحكمة والموعظة ! والتي كان اثنان آخران يمليانها عليه وأسند الآخر ظهره إلى جدار الكهف وراح يذكر الله في سره .. فبذكر الله تطمئن القلوب .. وبذكره وحده تنجلي الهموم وتزول الكروب!!

كان الراعي لايني يتحرك.. وهو يحمل عصاه بيده .. يروح ويجيء ، وينظر إلى الرجال بصمت .. يريد أن يتكلم !

تمتم الراعي وقد نفد صبره:

- لقد تأخر .

ثم أضاف وهو يتجه إلى باب الكهف ، وقد جعل طرف العصا يسبقه:

- لو ذهبت أنا؟ .. كنت أرسلت ماوية إلى المدينة لتأتي بالطعام .. فهي امرأة .. لا يعرفها أحد .

لم يرد عليه أحد.. !

عاود سيره ذهاباً وإياباً.. ثم نظر إلى الشاب الذي أسند ظهره إلى الجدار، والذي يبدو وكأنه أميرهم :

-لو أرسلتني ..

قبل أن يتم عبارته سمع الكلب ينبح .. فصاح :

- هذا الكلب ينبح .. لا بد أنه رأى إنساناً.

- إنه ما زال ينبح منذ الصباح .

تنفس الراعي عندما سمع أحداً يجيبه .. يبدو أن الجميع كانوا في حاجة إلى الكلام للتسرية عما في نفوسهم .

- ماذا سنفعل عندما يأتي؟

أجاب الشاب الأسمر الذي كان يخط على الأرض :

-نتناول الطعام ثم نخرج.

-إلى أين؟

- نذهب إلى بلد لا يضام فيه الناس .

قال الرجل الذي أسند ظهره إلى الجدار .. وكان في نبرات صوته شيء يهز القلوب :

- سنمكث إلى الليل .. ثم نغادر .

- إلى أين؟

- نسيح في الأرض .. نسأل عن بلدة تحيط بهـــا الجبال .. تدعى مكة.. أو بكة .

- نذهب إليها .. ونقيم فيها .

- لماذا؟

سأل الشاب الذي كان يحفر في جدار الكهف بعـــض آيات الحكمة والموعظة :

- لماذا نذهب إلى مكة .. ونقيم فيها ؟

اعتدل الرجل في جلسته.. كان في وجهه طـــول ، وفي عينيه صفاء .. وفي قسمات وجهه ما يدل على الحـــزم والعـــزم وعدم التردد.

قال.. وكأنه يلقي عليهم درساً :

- لأنها البلد الذي سيبعث فيه النبي الأمي الـــذي بشر به الأنبياء جميعاً.

قال الراعي بصوت يشبه الهمس :

- نقيم هناك وننتظر؟

- نعم.. سننتظره .. لعلنا ندرك يومه فننصـــره . إنه آخر الرسل .. ولن يبعث الله نبياً من بعده .

ساد صمت طويل .. كانت الجدران خلاله تتلهف إلى سماع شيء آخر.. وسؤال يجول في نفوس الرجال يريد أن يخرج.

- لماذا ؟

سأل الراعي أيضا:

- لماذا لا يبعث الله نبياً من بعده؟

تنهد الرجل .. وأخذ نفساً عميقاً.. وظن الجميع أن السؤال سيبقى معلقاً بلا جواب!! ولكن الرجل عاد بعد قليل فقال :

- لأن شريعته ستبقى إلى الأبد.. لأن دينه سيبقى ما بقيت الدنيا .. لأن أتباعه سيقومون بمهمة الأنبياء.. وليسوا بأنبياء!!

كل الأديان ستنحسر.. وتتراجع..

إلا دينه ..

فإنه سيمتد..

وسيعم الأرض كلها ..

سيأتي دينه على كل الأديان..

سيأتي على ما يأتي عليه الليل والنهار!

- أهذا أوان بعثته؟

- لا أدري..

- متى سيبعث؟

- هل نستطيع أن نكون من أنصاره؟

- ليتنا ندركه..

ليتنا ننصره ..

ليتنا نستطيع أن نكحل عيوننا بالنظر إليه.

ليتنا.. ليتنا.. ليتنا..

- ما اسمه؟

- إنه محمد.. رسول الله.

كان الحديث شائقا للغاية..

كانت جدران الكهف تنصت باهتمام بالغ .. وقد خيم السكون على الفتية مرة أخرى . . وطارت أرواحهم تحلـــق في الكون العريض وتجول فيه .. لعلها تستطيع أن ترى .. أو تتخيل البلد الذي سيبعث فيه سيد الخلق.. النبي الحبيب!..

في أي أرض الله تقع مكة..؟

ما شكلها ..

ما سعتها ..

لا بد أن تكون مدينة المـــدن .. جمـــالاً .. ومكانـــاً .. وسعة.. وعلماً.. وحضارة .. وبنياناً!!

قال الشاب الأسمر الذي كان يخط على الأرض :

- أريد أن أخرج لأشرب من العين .

- اذهب .. و احذر أن يراك أحد.

قال الراعي .. الذي كان قد جلس يستمع إلى الحديث :

- وأنا أيضا.. أريد أن أبلل ريقي.

أشار الرجل الذي يأتمرون بأمره، أشار بيده:

- عندما يعود.

خرج الرجل .. كان شديد الحذر .. وظل الراعي يروح ويجيء ، ويضرب بعصاه جدار الكهف .. وبعد مدة عاد وهـــو يمسح وجهه وشعر رأسه بالمنديل .. كان يبدو عليه أنه رأى شيئا غريبا.. لكنه لم يرد أن يتكلم .

- هل رأيت شيئا؟

هز رأسه وهو يمسح يديه إلى الساعدين بالمنديل:

- نعم .

- ما هو ؟

- اخرجوا فانظروا بأعينكم

هتف الراعي .

ـ سأخرج أنا.. إنه دوري.

- اخرج .. ولكن لا تبتعد

- سأشرب قليلاً.. وأغسل وجهي وأعود.

- لا تبتعد.

- لا أبتعد عن عين الماء.

فلما خرج الراعي قال الرجل:

- ليذهب كل منكم .. الواحد بعد الآخـــر.. ثم يعود .. واحذروا أن يراكم أحد.

عاد الراعي بعد قليل وهو يقول متعجباً:

- سبحان الله.. سبحان الله القـــادر علـــى كـــل شيء.. لقد تحولت الأرض القفراء الجرداء القاحلة إلى جنة!! .. تحولت إلى روض ناضر وعشب زاهر.. ومراع خضـــر!! .. وعين الماء..

التي كانت عالية .. صارت في متناول اليد!

كيف حدث هذا؟!

في يوم واحد ..

في ليلة واحدة ..

يتبدل كل شيء.

سأدعو ماوية لكي تأتي بالشياه فترعى في هذا المكـــان . العشب يملأ المكان ..

والطيور تنتشر..

وكل شيء.. كل شيء أصبح جميلا .. فاتنا.

- هذا الكلب ينبح.. اسمعوا .
- لعله قد عاد..
- هل أنظر .. فأرى من القادم؟
- لا.. انتظر..

بعد قليل دخل الشاب الذي أرسلوه إلى المدينة ، يحمل صرة مليئة بالطعام:

- السلام عليكم.

٣

بسط الشاب منديلاً عريضاً، وضع فوقه صرة الطعام ثم قال :

- بسم الله .. كلوا .

ترك الشاب الذي كان يحفر في جدار الكهف عمله، ومسح السكين ثم قال :

- أين كنت يا رجل.. كنا في غاية القلق عليك.

- جئتكم بالطعام الذي طلبتم .

- هل تأكدت أن لا أحد من جنود الملك دقيانوس قد رآك أو تبعك؟

- لا أحد.

جلس الجميع حول المنديل يتناولون الطعـــام.. وألقـــى الراعي بشيء منه إلى الكلب.

قال الراعي يسأل عن زوجته:

- هل رأيت ماوية؟

أجاب الشاب دون أن يرفع رأسه :

- لا.. لم أرها .

- لعلها خرجت ترعى الغنم .

قال أمير الجماعة:

-كيف حال المدينة ؟

- بخير.

- هل خف الطلب عن جماعتنا؟

- نعم

سأله الشاب الأسمر :

- هل كف الجنود عن اقتحام البيـــوت واعتقـــال المؤمنين ورجمهم؟

- نعم

نهض الرجل الذي كان يكتب وقال :

- أريد أن اشرب قليلاً من الماء .

هتف الشاب الذي جلب الطعام وكأنه قد مسه شيء:

- لا .. لا تخرج .

- لماذا؟

- لا بد من الحذر.

- قلت إنه لم يتبعك أحد من جنود الملك ؟

- لكن الحذر واجب .

كف أمير الجماعة عن الطعام وسأله :

- هل رأيت أحداً ممن نعرف؟

- لا .

قال الراعي:

- كنت أحب أن تخبر ماوية لتأتي بالشياه فترعاها هنا .. إنه مرعى خصيب .

- لم أرها.

- لعلها كانت داخل الكوخ؟

- لم أر الكوخ.

قال أمير الجماعة بلهجة رصينة جادة:

- أنت تكتم عنا شيئا .

- نعم .. لا .. ماذا أكتم؟

- ما الشيء الذي لا تريد البوح به ؟

- أنا؟

- قل .

- ماذا أقول ؟

أراد أن ينهض وهو يقول :

- سأشرب .

قاطعة الرجل :

- ليس قبل أن تخبرنا.

- بماذا أخبركم؟

- بالذي حدث .

كفت الأيدي جميعاً عن الطعام، وتركزت العيون عليه..

وراحت القلوب تدق بسرعة:

- ماذا حدث؟!

قال الأمير :

- تكلم .. فنحن على استعداد لنسمع أي شـــيء مهما كان.

مسح الشاب فمه ويده وبقي ساكتا.

-هل علي أن أستمر في الأسئلة وأنت تجيب؟

هز رأسه:

- لا.

- تكلم إذن.. هل حدث شيء في المدينة؟

- نعم .

تطلعت جميع الوجوه إليه بلهفة.. ماذا حدث .. ما الذي يكتمه عنا.. لماذا يتردد في الجواب؟!!

قال بعد قليل:

- لقد مات الملك دقيانوس .

- مات الملك ؟ !!

هتف الجميع بشيء عظـــيم مـــن الدهشـــة والفرحـــة والتعجب! ونهض الراعي فصاح بانفعال عظيم :

- الله أكبر.. الله أكبر.. انتهت المشكلة سـأذهب إلى ماوية أبشرها.

سأل أمير الجماعة:

- فمن تولى الحكم بعـده؟ .. الشـاب الأحمـق منيفوس؟

أجاب الشاب دون أن يرفع رأسه عن الطعام:

- مات منيفوس أيضا.

- فقد حدث شيء كبير..

- نعم .

- أخبرنا.

رفع رأسه عن الطعام وسألهم :

- كم لبثتم في هذا الكهف؟

قلنا عندما استيقظنا .. يوماً أو بعض يوم

قال الأمير :

- ما علاقة سؤالك بما نحن بصدده؟

- علاقة وثيقة.

- أفصح.

نظر بعضهم في وجوه بعض .. ماذا يريد أن يقول لنا .. ما علاقة هذا بما نحن فيه..

كرر الشاب ما قاله الشاب الأسمر :

- يوماً أو بعض يوم .
- هل هذا رأيكم جميعاً؟

أجاب الشاب الأسمر مرة أخرى:

-كم تظن أننا لبثنا .. يومين .. ثلاثة؟

- أنا أسأل .
- أجب أنت..
- نعم أجب أنت .. نحن لا نعلم .
- ربنا وحده يعلم
- أخبرنا.. لا تقطع أنفاسنا.

قال بصوت هادئ :

- لقد لبثتم أكثر من ذلك
- أسبوعاً؟
- شهراً ؟
- مستحيل .. الشهر كثير..

- لو كان الأمر كـــذلك لظهـــر علـــى شـــعرنا وسحنتنا..

ثم أضاف وهو يبسط كفيه وينشر أصابع يديه:

- وطالت أظافير أصابعنا.

راح بعضهم ينظر إلى أظفار أصابعه ، وبعضهم يقلـــب النظر في وجوه أصحابه .. لم يتغير فيهم شـــيء .. لحـــاهم .. وجوههم .. ملابسهم.. كلها كما هي بـــالأمس . ثم رفعـــوا رؤوسهم إلى الشاب الذي عاد من المدينة

- لقد لبثتم ثلاثمائة عام وزيادة!!

نظروا إليه وكأنهم لم يسمعوا.. أو سمعـــوا ولكنـــهم لم يصدقوا !

هز رأسه وهو يتطلع في وجوههم التي أخـــذتها هـــول المفاجأة:

- ثلاثمائة عام.

- قل.. قل غير هذا.

- أنا لا أمزح .

- ثلاثمائة عام ؟

- وأكثر

- أكثر؟!!

- وتسعة أعوام .

خيم سكون عجيب على الجميع .. راحوا ينظـــرون في وجوه بعضهم.. وعاد الراعي إلى الجلوس .. هل يصدقون مـــا يسمعون؟! ثلاثمائة عام؟!

قال أمير الجماعة بصوت خفيض كأنه يخاطب نفسه:

- ثلاثمائة عام .. فقد تبدل كل شيء.

- نعم .

- الملك غير الملك .. والناس غير الناس .. والمدينة غير المدينة .

- هذا ما حدث

- فلا الناس الذين نعرفهم .. ولا الأهـــل .. ولا الأقارب

- لا أحد من أولئك .

هتف الراعي كالمأخوذ:

- وماوية.. والغنم .. والكوخ.. يـــا رب.. يـــا رب..

- لقد مات الملك دقيانوس .. والذي بعده وبعده وبعده .. وماتت ماوية .. وغير ماوية.. وكل الناس الـــذين كنا نعرفهم، أو عشنا معهم !!

هتف الأمير:

- ودعوة الله ؟.. هل بقيت أمة من الناس تدعو إلى الله تعالى ؟

راح الشاب يتكلم بصوت عميق مؤثر هز القلوب:

- لقد بارك الله تعالى في النبتة الصغيرة الزكية التي زرعناها..

فنمت .. وامتدت..

وصعدت في السماء..

وراحت أغصانها في كل اتجاه..

أصبحت شجرة عظيمة ..

دوحة باسقة ..

وارفة الظلال ..

شهية الثمار..

لقد آمن من في المدينة.

- كلهم؟

- كلهم .. حتى الملك .. حتى الـــوزير .. حـــتى الجنود..

كل الناس قد آمنوا..

الرجال.. والنساء .. والشيوخ.. والأطفال. المدينة اليوم يحكمها رجل عادل صالح..

ملك مؤمن رفيق بشعبه.. يحبهم ويحبونـــه.. النـــاس في أمان..

والدعوة إلى الله في أمان..

لا يطاردهم ملك كافر..

ولا يناهم سوط ظالم.

إنهم ..

- أقول..

- نعم..

- هل رأيت ذلك بعينك؟

- نعم.
- ورأيت الملك؟
- نعم.
- هل كلمته؟
- هل سألك عنا؟
- هل أخبرته بما جرى لنا؟
- هل. . . .
- هل. . . .
- هل. . . .
- نعم.. نعم.. نعم..

لقد جاء الملك ..

وجنوده ..

وأهل المملكة..

وأهل المدينة..

والناس .. كل الناس.

للاحتفال بكم.

للسلام عليكم..

لتكريمكم..

لقد أصبحت المدينة غير المدينة التي كنا نعرفها .. والناس غير الناس..

لقد امتدت المدينة .. واتسعت أطرافها.. والناس في أمن وطمأنينة.. وسلام.

لم تتحمل قلوبهم مشاعر الفرح التي هجمت عليهم مرة واحدة.. فراح أحدهم يبكي بانفعال.. ونسي الراعي زوجته وغنمه وراح يضرب بعصاه جدران الكهف وهو يصيح:

- الحمد لله.. الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين .

ثم اندفع خارج الكهف والدنيا لا تسعه من الفرح .. لكنه عاد بسرعة وهو يقول :

- نحن مطوقون.

أشار أمير الجماعة إليه بيده:

- اجلس

لكن الشاب الذي عاد من المدينة نهض متحمساً وراح يحث الجميع على النهوض.

- لماذا يجلس .. انهضوا كلكم .. اخرجوا وانظروا بأعينكم إنه اليوم الذي تنتظرون..

إنه يومكم..

إنه عيدكم..

إنه عيد الأعياد

- اجلس .

- لا.. لا بد أن تروا بأعينكم هذا الحشد الهائل من الناس الذين جاؤوا لمشاهدتكم.

- اجلس.

- سيدي .

- اجلس.

ثم وجه كلامه إلى الجميع:

- لا يتحرك أحد قبل أن يسمع كلامي.

جلس الجميع على شكل دائرة حول المنديل الذي وضعت عليه صرة الطعام .. وراحت القلوب تدق بسرعة.. وجدران الكهف تنصت باهتمام.. ومضت لحظات خالها الجميع ساعات.. والرجل مطرق كأنه قد أضرب عن الكلام!

- اسمعوني أيها الأخوة الأحبة .

هكذا بدأ كلامه .. بصوت خفيض مرتعش .. وأسلوب هادئ جذاب.

- اسمعوني جيدا..

إن الامتحان الذي تتعرضون له الساعة .. أقسى من كل ما مر عليكم!

إن الفتنة التي تنتظركم.. هي أشد آلاف المرات من الفتنة التي تعرضتم لها أيام الملك الكافر دقيانوس إنها أشد من لذع السياط.. والكي بالنار..

والرجم بالحجارة!!

إنها الدنيا. . .

بكل ما فيها من إغراء وفتنة وزيف ! !

إنها المال الذي يغير قلوب الرجال..

إنها النساء..

إنها الشهرة والظهور الذي يقصم الظهور .

وسكت قليلا.. لكي تأخذ الكلمات مكانها من نفوسهم ثم عاد يقول :

- ماذا تريدون ؟

ماذا كنتم تبتغون من وراء عملكم في سبيل الله ؟ لقد أيقظكم الله تعالى ليريكم .. بأعينكم .. ثمرة جهادكم في سبيله .

ولكي يعلم الدعاة إلى الله من بعدكم .. أن العمل الجاد الصواب .. الخالص لله تعالى.. لا بد أن يظهر .. وأن الله سينميه.. بعلمه.. ومعرفته..

وها أنتم .. قد رأيتم..

وهذا يكفي..

لأن هذا ما كنا نريد ..

أن ينتصر دين الله ..

وقد انتصر.

إن إبليس لم يستطع أن ينال منكم بواسطة دقيانوس وزبانيته..

إنه لم يستطع أن يفل من عزيمتكم..

فلا الضغط..

ولا الإرهاب..

ولا السياط..

ولا الكلاب..

لا واحد من هؤلاء استطاع أن ينال منكم!!

فجاءكم بالدنيا مغلفة بما تحبون وتشتهون..

جاءكم بالسم ممزوجاً بالعسل . . .

جاءكم بالملك الجديد .. وجنده..

جاءكم بكل الناس ..

لكي يفتحوا لكم بيوتهم.. وجيوبهم !!

ستفتح عليكم الدنيا أبوابها..

ستتزوجون أجمل النساء..

ستسكنون أفخم القصور..

ستركبون المراكب الفارهة..

سيقبل الناس عليكم .. يقبلون أيديكم وأرجلكم.

وستحدثونهم بجهادكم ..

وتذكرون بطولاتكم..

وستمنون عليهم .. وعلى الله ..

من حيث لا تشعرون..

والفضل.. كل الفضل .. أولاً وآخـــراً.. لله وحـــده.. وليس لكم !!

فهل تريدون أن تبيعوا آخرتكم بهذه الدنيا؟!

هل تريدون أن تبيعوا الجنة التي أعدها الله للمتقين بحفنة من المتاع الزائل؟!

هل تريدون..

هل تريدون..

فمن أراد أن يجرب نفسه..

ومن أراد أن يعرض إيمانه للخطر الجديد..

ومن أراد أن ينغمس في الدنيا إلى أذنيه..

فليخرج..

فإن الدنيا تنتظره.. بكل مفاتنها ..

. . . . . .

. . . . . .

. . . . . .

وسكت الرجل..

وترك كل واحد يدير ما قاله مع نفسه .. وراح الشاب الأسمر ينكت الأرض بعود في يده وهو يفكر ..

والراعي ينظر ولا يدري بماذا يجيب

والبقية قد أطرقوا وهم ينتظرون أن يسمعوا بالبديل..

ما هو البديل؟

عاد الرجل فقال :

- لا نستطيع أن نهرب .. لأنه ليس للكهف إلا هذا المنفذ الذي يحيط به الناس من كل مكان .. ولا نستطيع أن نبقى داخل الكهف دون أن نخرج إليهم لأن الناس سيهجمون علينا بعد قليل .. فإنهم لا يطيقون الانتظار.

علينا أن نرغب إلى الله ..

نسأله أن يأخذنا إليه..

فمن أراد الله واليوم الآخر .. فليؤمن على دعائي.

ومن أراد الدنيا..

فليخرج..

فإنما تنتظره..

على باب الكهف

ثم سكت لحظات..

كأنه يريد أن يستجمع كلمات الدعاء..

وكان قد أطرق كالنائم..

ولم يكن لدى أي منهم ما يقول.

وماذا يقول؟

لقد اقتنع الجميع بصواب ما قال..

ولم يرفع أحد منهم رأسه ..

وكانت الجدران تتلهف لمعرفة ما سيكون..

وكان الصمت مخيماً..

والسكون قد لف المكان..

والكلب في مدخل الكهف .. باسط ذراعيه.

رفع الرجل رأسه ..

وارتفعت الأكف بالدعاء ..

واغرورقت العيون بالدموع ..

راغبة إلى الله تعالى.

- اللهم . . . . . .

. . . . . .

يا أرحم الراحمين .

- آمين .